

"بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَصْفُهَا الْمُبِينُ ، وَحِفْظُهَا الْأَمِينُ" .

حَلَقَاتٌ عِلْمِيَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ ، أَصِفُ فِيهَا الْبُيُوتَ الْمُؤْمِنَةَ ؛ عَقِيدَتَهَا وَأَخْلَاقَهَا ، ثُمَّ أُذَكِّرُ بَعْدَهَا بِالتَّرَاتِيْبِ السَّلَفِيَّةِ الصَّرُورِيَّةِ فِي طُرُقِ وَأَسَالِيْبِ حِفْظِهَا

مِنْ عُدْوَانِ الْفِرَقِ الْمُعْتَدِيَةِ .

حَلَقَاتٌ مُهِمَّةٌ ، وَبِخَاصَّةٍ فِي أَرْبَعَةِ الْعُرَبِ ، مُوَجَّهَةٌ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْأَمْرِ الْمُسْلِمَةِ ، صَاغَهَا اللَّهُ مِنْ حُطْطِ وَتَدَابِيْرِ ذَوِي الشُّرُورِ الْكَائِدَةِ .

الحلقة (الثالثة) :

-(بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِسْلَامِ)-

"الْوَصْفُ الْعَامُّ"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحابه والتابعين ... أما بعد :

(مقدمة)

في هذه الحلقة سنتكلم -إن شاء الله تعالى- عن بيوت المؤمنين في الإسلام ، بالوصف

العام ؛ عقيدة وأخلاقاً وشريعة ،

تعريفها ،

خصائصها ،

فضائلها ،

صفتها ، وصفات أهلها ؛

أولياؤها وأعداؤها ،

الآداب المتعلقة بها ،

الأحكام العقدية والفقهية المقررة لها ،

وغير ذلك ،

ثم سنفصل -بحول الله تعالى- في أجزاء وتفاصيل ما يتعلق بهذه البيوت ؛ داخلها ،

وخارجها ؛ مما هو له علاقة مباشرة ، أو غير مباشرة ، والله المعين .

ملاحظة / أصلحنا العنوان العام لهذه السلسلة ، بغية الاختصار .

أقول وبالله التوفيق :

"بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ"

تعريف "البيوت" لغة : جمع بيت ، والبيت : أصل واحد ، وهو المأوى ، والمآب ، ومجمع الشمل ، يقال بيت وبيوت وأبيات ، ومنه يقال لبيت الشعر : بيت ، على التشبيه ؛ لأنه مجمع الألفاظ ، والحروف ، والمعاني ، على شرط مخصوص ، وهو : الوزن ، ... ، والبيت عيال الرجل ، والذين يبيت عندهم ، ... ، ويبت الأمر إذا دبّره ليلاً^(١) ، "وقد يقال للمبني من غير الأبنية التي هي الأخبية بيت ؛ والخباء : بيت صغير من صوف أو شعر ، فإذا كان أكبر من الخباء ، فهو بيت ، ثم مظلة إذا كبرت عن البيت ، وهي تسمى بيتًا -أيضًا- إذا كان ضخماً مُرَوِّقًا"^(٢) ، والمؤمنون ، هم : الأفراد المُقَرَّبُونَ ؛ قولاً وعملاً .

واصطلاحًا : هي البيوت التي يختص بها المؤمنون وأهلهم ، ليقضوا فيها حياتهم .
وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ عَامَّةً ، وَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِخَاصَّةٍ بَأَن جَعَلَ لَهُمْ بُيُوتًا مُنَاسِبَةً لَهُمْ ،

يسكنونها وأهلهم ، وفيها يبيتون ،
تكنهم من الحر والقر ، وتؤمنهم في زمن الفتن ،
مُؤَسَّسَةً عَلَى تَقَى مِنَ اللَّهِ وَنُورٍ وَرِضْوَانٍ ،
ينشؤونها بالمال الحر ، الطاهر الحلال ؛ بلا رياء ، ولا فخر ، ولا إسراف ،
فيها يعاشرون أهليهم ، ومعهم يأْتلفون ،
وفيها يأْنسون مع أولادهم ، وأرحامهم ، وأقاربهم ، وجيرانهم ، وإياهم يُؤْنسون ،
وفيها يتعبدون الله تعالى ، والقرآن له يقرؤون ، وبه يصلون ،
وفيها يتعلمون العلوم الشرعية ويعلمون ،
وفيها يربون أولادهم ونساءهم ومشكلاتهم يحلون ،

(١) معجم مقاييس اللغة (١/٣٢٤-٣٢٥) .

(٢) لسان العرب (٢/١٤) .

وفيهما تكمن سعادتهم ، فإن خرجوا منها لحاجة ؛ فإليها بعد انقضائها يسارعون ،
وفيهما يحفظون حقوق الجيران ؛ فلا أذية واقعة عليهم ولا إضرار ،
وفيهما يكرمون الضيف بلا مَنٍّ ولا إقتار ،
ولهم في بيوتهم -غير ما ذكرنا- مآرب شتى ، ومقاصد جُلَى ، يعرفها من عرف فضل
الله عليه في هذه البيوت ،

وقد دل على ذلك نصوص وآثار كثيرة ، نذكر منها :

قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا
تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى
حِينٍ } [النحل: ٨٠] ،

وقَوْلُهُ تَعَالَى : { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ مِمَّا مِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا
بُيُوتَكُمْ قِبَلَةَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [يونس: ٨٧] ،

وقَوْلُهُ تَعَالَى : { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ
مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ } [الأعراف: ٧٤] ،

وقَوْلُهُ تَعَالَى : { أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ ثَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ
بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ } [التوبة: ١٠٩]

يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَفْسِيرِ آيَةِ النَّحْلِ السَّابِقَةِ : "يذكر تبارك وتعالى تمام
نعمه على عبده ، بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم ؛ يأوون إليها ،
ويستترون بها ، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع ، { وَجَعَلَ لَهُمْ } -أَيْضًا- : { مِنْ
جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا } ؛ أي : من الأدم ، يستخفون حملها في أسفارهم ، ليضربوها لهم
في إقامتهم في السفر والحضر ، ولهذا قال : { تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَابِهَا } ؛ أي : الغنم ، { وَأَوْبَارِهَا } ؛ أي : الإبل ، { وَأَشْعَارِهَا } ؛ أي :

المعز - والضمير عائد على الأنعام- ، {أثاثًا} ؛ أي : تتخذون منه أثاثًا ، وهو المال ، وقيل : المتاع ، وقيل : الثياب ، والصحيح أعم من هذا كله ، فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك ، ويتخذ مالا وتجارة" (١) ،

وَيَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ التَّوْبَةِ السَّابِقَةِ : {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ} ؛ أي : على نية صالحة وإخلاص ، {وَرِضْوَانٍ} : بأن كان موافقا لأمره ، فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة ، {خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَقَا} ؛ أي : على طرف {جُرْفٍ هَارٍ} ؛ أي : بال ، قد تداعى للانهدام ، {فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} : لما فيه مصالح دينهم وديناهم" (٢) ،

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافٍ فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" (٣) ،

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ ، ... " (٤) ،

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ : "أَمْلِكُ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتُكَ ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ" (٥) ،

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَفْضَلُ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ" (٦) ،

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ" (٧) .

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٩١) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، ص : (٣٥١) .

(٣) رواه الترمذي (٢٣٤٦) ، وابن ماجه (٤١٤١) .

(٤) رواه ابن حبان (٤٠٣٢) .

(٥) رواه الترمذي (٢٤٠٦) .

(٦) رواه الترمذي (٤٥٠) ، وأصله في الصحيحين .

(٧) رواه مسلم (١٧٧٤) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" ^(١) ،

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : "الزُّمُو فِي آخِرِ الزَّمَانِ الصَّوَامِعَ ، يَعْنِي الْبُيُوتَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَنْجُو مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَّا صَفُوهُ مِنْ خَلْقِهِ" ^(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : "أَلَا أَمْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟" ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : "أَلَا مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟" ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : "فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ" ، قَالَ : فَإِنَّ لِي خَادِمًا ، قَالَ : "فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ" ^(٣) ،

وَهَذِهِ النَّعْمُ لَمْ تُفْتَضَرْ عَلَى الْإِنْسَانِ وَحْدَهُ ، بَلْ شَمَلَهَا رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ غَيْرَ الْإِنْسَانِ ؛ قَالَ تَعَالَى : { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } [النحل: ٦٨] ،

يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ النَّحْلِ السَّابِقَةِ : "في خلق هذه النحلة الصغيرة ، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة ، ويسر لها المراعي ، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها ، وهدايتها لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها ، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة ، فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى ، وتمام لطفه بعباده ، وأنه الذي لا ينبغي أن يجب غيره ويدعي سواه" ^(٤) ،

نُكْمِلُ فِي الْحَلَقَةِ التَّالِيَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ ،

(١) رواه البخاري (٦٠١٨) ، ومسلم (٨٣) .

(٢) الإبانة الكبرى ؛ لابن بطه (٧٦١) .

(٣) رواه مسلم (٧٥٧٢) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن ، ص : (٤٤٤) .